

الفصل الأول: محاكمة الظل

" الظل يصرخ مندفعاً بين رجلين يقبضان عليه بقوة حتى لا يفلتاه "-.

-اتركوني ، من أنتم ؟ ألا تعرفون من أنا ؟ ما هذا المكان الغريب ؟

*يرد أحدهما بهدوء بالغ :-.

-اهدأ يا سيدي ، أنت في مشفى دكتورة/م. ديلاور للطب النفسي ، إنها مشفى راقية كل من فيها كبار رجال الدولة و الأغنياء

قال الظل منفعلاً و هو يحاول الهروب من بين أيديهم :-.

-طب نفسي ! من أتى بي إلى هنا ؟ ستندمون جميعاً ، هذه مؤامرة .

*دخلت د/م. ديلاور الغرفة بهدوء تحمل سرنجة بها عقار مهدئ تناولها من يدها أحد الممرضين و حقنه بها وبعدها بقليل بدأت أعصابه بالارتخاء و صوته في الانخفاض و هو على أقرب مقعد مستسلماً بفعل العقار ، يسمع صوت خطوات حذاء نسائي تقترب منه ولكنه لا يقوى على رفع رأسه حتى سمع صوتاً أنثوياً يقول له:-

-كيف حالك يا ظل ؟ أم جون سميث ؟ ماذا تفضل ؟

أنا الدكتورة ديلاور وأهلك هم من أتوا بك إلى هنا .

جلست على مقعد بجانبه فرأى وجهها بلا تمييز لملاحها بسبب زغلة عينه واهتزاز رأسه المتواصل و كان لعبه يسيل بدون إرادة منه فهم يصدر همهمات محاولاً التحدث ولكن لم يستطع فأمرت الدكتورة أحدهما أن يحمله ويضعه على السرير ثم قالت له :-

-لا تقلق يا ظل ، تدريجياً سينتهي أثر المهدئ ،

ثم قالت بلهجة تحمل السخرية

-ولماذا أنت قلق ؟ ما أنت إلا ظل أو اسم لا وجود له .

رغم سيطرة المهدئ عليه بدأ عليه الانفعال من كلامها المستفز وحاول النهوض ولكن بلا جدوى فأصدر همهمات وغمغات غير مفهومة محاولاً ترجمة اعتراضه عليها ، فقالت له بعد أن أصدرت ضحكة ساخرة :-

أتتذكر جودي وهي أيضاً ليست جودي إنها جيروشا اللقيطة ربيبة ملجأ الأيتام ، أنت يا ظل كذبة وحياتك كذبة وكل تفاصيلك كذب.

تنهدت الدكتورة وأراحت ظهرها بكل هدوء على مسند الكرسي وهي تحرك قلماً بين أصابعها وأردفت :-

-ولكن... رغم أنها لقيطة إلا أنها فتاة جريئة قوية صريحة ، كتاب مفتوح ليس لك فقط ، بل للجميع لا تخجل من ماضيها و سرده لك في رسائلها بكل شجاعة،

بدأت عينا الظل تدمع ثم بدأ في السيطرة على حركة رأسه قليلاً.

فواصلت الدكتورة بهدوء مصطنع :-.

-لماذا لا تحب النساء يا ظل ، هل هناك من خانتك مع عشيقها ؟ أم عمك قست عليك بعد موت والدتك وفضلت بناتها عنك في المعاملة ؟

!!!!!!!؟؟؟؟؟

حاول الظل النهوض باندفاع ولكنه لم يقوى ، فعلا نحيبه و قال لها بلسانه الثقيل وبلهجة بالكاد تفهم :- -كفى ؛ اصمتي .

أكملت الدكتورة بنفس النبرة الهادئة :-

وما ذنبها جيروشا إذن لتنتقم من كل النساء في شخصها البريء ؟ هل لأنها يتيمة ؟ أم أنها ساذجة ؟

لم تظهر لها إلا بعد أن تأكدت أنها أنهكت من طول الانتظار ، أليس كذلك؟

ظهر عليه الندم وهو ممددا على السرير يحرك رأسه و يظهر شهقات مصحوبة بالبكاء و الدمع الغزير

فأكملت الدكتورة وبدأ صوتها يأخذ نبرة مهاجمة :-

أتنكر أنك في بادئ الأمر كنت تقرأ رسائلها باستهزاء وسخرية أنت ومساعدك ؟.

وجه رأسه نحوها وقال بانكسار و بصوت متقطع :-

-ولكني أحببتها أحببتها بصدق .

قالت الدكتورة باندفاع وتحدي بعد أن رفعت قامتها :-

-وقبل أن تتأكد من حبك لها كنت تراقبها من بعيد وترهق نفسيته وتتلذذ بتعذيبها أيها النرجسي ، فهي لا تعرف إن كنت تتجاهلها أم تهتم بها ، أو إن كنت تقرأ رسائلها أو تلقبها في سلة المهملات ، وهي صابرة مستمرة مثابرة في حبك يا ظل ، أراك ترغب في قول أنك أعطيتها فرصة إكمال دراستها ، لا يا ظل إنك غني و مثل هذا الشيء نقطة في بحر مقارنة بأملاكك ، لماذا أخفيت حقيقتك عنها وحبك لها كل هذه السنين ، هل لأنك غير متقبل كونها لقيطة ؟ أم لأنك تعرف موقفها من آل بندلتون المعقدة ؟ أم إنك كنت تعطي لنفسك فرصة لتتأكد من مشاعرك نحوها ؟ أم خجلت من مواجهة عائلتك الغنية المعقدة بلقيطة فأنفقت عليها حتى أصبحت سيدة مجتمع فأفصحت عن نفسك لها وقدمتها لعائلتك بفخر؟

أيا كان من بين كل هذا ، كان يمكنك أن تحقق مقصدك بدون أن ترهقها معك ياظل

هدأت مرة أخرى وألقت ضحكة عالية ساخرة

نهضت الدكتورة من مقعدها واقتربت منه ووضعت يدها خلف رأسه ودفعته للأعلى برفق وهي تقول :-

-انهض أصبح بإمكانك الاعتدال والتصرف على طبيعتك لقد بدأ تأثير المهدي يخرج من جسدك.

أجلسته على مقعد وتناولت مرآه من فوق مكتبها و وجهتها نحوه فقال لها بدهشة :-

-ما هذا ؟

قالت بلا مبالة :-

- إنها مرآة يا ظل ، أنظر إلى نفسك فيها ، تعرف على نفسك ، تقبلها ، وتقبل الظروف الطيبة والقاسية التي مررت بها ،

ثم بلهجة ساخرة مرة أخرى

-وهل للظل أن يرى نفسه في المرأة؟

قبض على المرأة بيد مرتعشة ورفعها أمام وجهه ونظر لنفسه بندم ، فضغطت الدكتورة على الزر فدخل الممرضان فقالت اصحبوا السيد إلى غرفة ١٠٧ سيمكث معنا ليلتين.

نهض الظل مستسلما - ولم يكن هذا بفعل المخدر بل بسبب كلام الدكتورة القاسي - قابضا على المرأة ولم يعاني الممرضين في اصطحابه إلى غرفته ،

دخلها وجلس على السرير وأصق ركبتيه بصدرة واحتضنها بقوة وأخفى وجهه بينهما و بكى بكاء رج جسده بأكمله.

^^

نهاية الفصل الأول

نلتقي في الفصل الثاني.....

الفصل الثاني: اعترافات الظل

المشهد الأول:-

في صباح اليوم التالي في غرفة كشف الدكتورة / م. ديلاور في مشفى الطب النفسي .

الدكتورة / م. ديلاور تتابع حالة أحد النزلاء المقيمين في المشفى كإجراء روتيني ثم يطرق الباب فتنهض الدكتورة لفتحه بنفسها احتراما لخصوصية المريض بعد أن ظهر عليه الذعر بعد سماع صوت الطررق ، فوجدته أحد الممرضين يخبرها أن السيد نزيل غرفة ١٠٧ لم يتناول الطعام منذ أمس ، فردت الدكتورة بهدوء مصطنع :

-حسنا سأنهاي عملي وأذهب إليه، لا أحد يدخل غرفته، اتركوه بمفرده.

المشهد الثاني:-

غرفة ١٠٧

جيرفي يجلس على مقعد في منتصف الغرفة بلا حراك أشبه بتمثال شمعي يقبض بشدة على المرأة التي أعطتها له بالأمس منحني الظهر يبدو عليه الإرهاق الشديد شاحب الوجه بعينين حمراتين كالدم.

تطرق الدكتورة /م.ديلاور باب غرفة صاحب الظل وتدخل مباشرة دون أن تنتظر الإذن .

- صباح الخير يا ظل .

* لم يرد عليها ولكنه هز رأسه بلامبالاة دليل على سماعه لها و انتباهه لدخولها ، فسحبت كرسي وجلست بالقرب منه وقالت:-

- كيف حالك اليوم يا ظل ؟، هل نظرت في المرأة ؟

فأوماً فأكملت:-

- ماذا رأيت ؟ هو نفسه الظل ...

فقال لها بصوت متقطع :-

- أنت محقة يا دكتورة ، أنا معقد من النساء وعندما وقع نظري على جيروشا في الملجأ.....

قاطعته الدكتورة قائلة :-

- عظيم ! "جيروشا " ، أكمل أنا أسمعك.

بكل استسلام واصل كلامه :-

- كانت أكبر الأيتام ، وكانت تقترب من عمر أول فتاة عشقتها ، ثم صمت و ذرف دمعة كبيرة من عينيه و أردف :-

- ولكنها لم تفعل ، لم تحبني كانت تحب شابا آخر ، ووافقت على الارتباط بي فقط من أجل ...ثم صمت وتنهى وعاد الحديثمن أجل المال ،

سقطت المرأة منه على الأرض بغتة و أخفى وجهه بيديه و زاد انحناءه وبكى بحرقه هزت جسده كله،

ثم اعتدل وقال بانفعال :-

- لقد رأيتها بين ذراعي عشيقها ولما رأيتي وانتبهت لوجودي نهضت ونظرت إلي بعينين جريئتين وقالت اخرج من هنا ، كيف تسمح لنفسك اقتحام خصوصيتي ثم قالت من الجيد أنك رأيت كل شيء بنفسك ، كنت سأخبرك أنني لا أريد إتمام الخطبة ، فأنا لا أحبك ، لا أحبك يا جيرفيس ولن تحظى بالحب طوال حياتك لا معي ولا مع غيري.

وضع يديه على أذنيه و أخذ يتلوى ويقول :-

- صوتها لا يفارق أذني

ربتت الدكتورة على ظهره ونهضت واتجهت نحو إناء بلاستيكي به ماء وتناولته وصبت بعضا منه في كوب بلاستيكي وأعطته له ، فشربه بأكمله و رفع قامته ثم أراح ظهره على مسند الكرسي وتنهى تنهيدة عميقة وأكمل :-

- و قد كانت محقةلقد فشلت بعدها كل علاقات الحب التي خضتها حتى رأيت جيروشاوذكرتني بما لم أنسه أبدا .

تساءلت الدكتورة بذهول :-

- ولهذا قررت أن تنتقم منها!

ابتسم بيأس ثم قال :-

- لا يا دكتورة ليس كذلك ، أنا لست بهذا السوء ، ولكن كانت جيروشا فرصة جيدة لي لكي أعرف كيف تفكر الفتيات ، ولماذا يرفضني في كل مرة أقترب فيها من أحدهن؟ فبدرت إلى ذهني فكرة إرسال الرسائل كل شهر وخاصة عندما أشادت المدرسة الثانوية بمهارتها في الكتابة، وعندما قرأت المقالة التي توصف فيها يوم الأربعاء في الملجأ علمت أن لها قدرة بالغة في إخراج ما بداخلها، أنت محقة كنت أقابل رسائلها في بادئ الأمر بسخرية ولكن عندما توالى الرسائل منها بلا ملل أو يأس ولم يتغير أسلوبها مع طول المدة كانت بنفس البراءة والحماسة بل أصبحت أكثر توهجا ، كنت أشعر أن كلماتها تتراقص على الورقة من شدة إقبالها على إرسال الرسائل وإيمانها الشديد بأني أقرأها ، حتى أنها استطاعت أن تنقل لي

ملاحظ شخصيتها بقلمها ، ومع كل رسالة كنت أقتررب منها وأشعر أنها جزء مني وأنا أيضا جزء منها ، فكرت مليا في أن أفصح لها عن شخصيتي حتى أتمكن أنا أيضا من البوح إليها عما بداخلي ، كنت في شدة الحاجة إلى ذلك كنت أتوق إلى أن ألقى بنفسي على صدرها وأبكي وأبكي ولكن كنت أخشى الرفض كما فعلت الأخریات ، ولم أنجح في أن أمنع نفسي عن مقابلتها فقررت أن أذهب لابنة أخي في الجامعة رغم سوء العلاقة بيننا لتراني و أرى إن كنت سأحظى بالقبول أم ضحكك ساخرا وهز رأسه وقال :-

-وعندما كتبت للظل في رسائلها أنها تميل لي ، قررت أن تتعرف علي أكثر بإرسالها للمزرعة التي تربيت فيها صغيرا مع مربيته بعدما رفضت عمتي الاعتناء بي بعد موت أمي لأنني كنت مشاعبا

تنهدت الطبية وابتسمت خلسة بانتصار ، فقد بدأ يرى نفسه على حقيقتها وبدأ يعطي كل شيء المسمى الحقيقي له ثم قالت :-

- والآن....

-فتساءل مندهشا :-

- والآن ماذا ؟

- ما وضع جيروشا بالنسبة لك ؟ لقد مر على ما حكيتة وقت طويل ، هل تحبها ؟ وهل هي تحبك ؟ هل تأكدت من حبها لك ؟ أم رفضتك مثل الأخریات؟

نظر أمامه نظرة خاوية وسرح قليلا ثم قال :-

- جيروشا أحببت جيرفيس ولم تبخل عليه بحنانها ، كانت أكثر من لطيفة معه ، تحملته وتقبلته فتحت قلبها له اتسع صدرها لأحاديثه المملة و لطبعه الفظ كباقي عائلته ، جعلتني أرى نفسي على حقيقتها تغيرت على يديها الصغيرتين، رغم صغر سنها بالنسبة لي إلا أنها استطاعت أن تظهر الوجه الآخر من جيرفيس .

ابتسم جيرفس وأخذ نفسا عميقا و أكمل :-

- نعم....استطاعت ببراءتها ونقاء قلبها ، كل هذا ولم تحبني؟! نظرتها حب ، لمسة يديها حب ، نغمة صوتها تصدر حببالطبع تحبني

قالت الدكتورة بخبت :-

- ويبقى الجانب الآخر والأهم ، أنت ، هل أحببتها وتقبلتها؟

هم ليبرد عليها فبترت كلامه مسرعة وقالت :-

- لا ليس اليوم لقد تعبت كثيرا ، سأرسل لك الطعام تناوله و اصغ لأمر للممرض وخذ دواءك ونم بعمق وستنقابل بالغد.

رحلت الدكتورة تاركة جيرفيس و برأسه ألف علامة استفهام ، لا ليجيبها بما يثبت لها أنه قد تعافى ، بل ليضع القواعد الأساسية لحياته الجديدة الآتية..

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

نهاية الفصل الثاني ..

نلتقي في الفصل الثالث والأخير

الفصل الثالث والأخير: جيرفيس بندلتون

المشهد الأول :-

في عيادة الدكتورة / م.ديلاور بالمشفى الخاص للطب النفسي في صبيحة اليوم التالي حيث تتناول بعض رشقات من فنجان قهوتها استعدادا لاستقبال النزلاء ومتابعة حالتهم اليومية .

دق جرس الهاتف فردت بلهجة تحمل فيها كثيرا من الود :-

- كيف حالك صديقتي ؟ لا تقلمي كل شيء يتم كما خططنا له تماما ؟ سأنتظرك في الثانية عشر ؟

وضعت سماعة الهاتف بهدوء ملحوظ وضغطت الزر على مكتبها وهي تتصفح بعض أوراق فدخل الممرض فقالت :-

- أدخل السيد جاك فورد ثم السيدة كاترينا مارس ثم نزيل غرفة ١٠٧ .

- أمرك يا دكتورة ، وهم ليخرج فقالت له :-

- انتظر ، كيف حاله ؟ هل تناول طعامه ودواؤه؟

- نعم كان هادئا جدا الليلة الماضية .

ابتسمت الدكتورة بخبث وأشارت له ليخرج .

المشهد الثاني :-

في حديقة المشفى حيث يتجول السيد جيرفيس ، سارحا في أفكاره ، فجاء الممرض من خلفه ووضع يده على كتفه فأبدى جيرفيس انزعاجا بعد أن نزعه من أفكاره فجأة وفزع فقال الممرض:-

- أنا أسف يا سيدي ولكن الطيبية تود رؤيتك بالعيادة .

أشاح بوجهه عنه وقال :-

- لا أطيق الدخول إلى هذا المكان ثانية فلتأت هي إلى هنا ، و واصل تجوله فورا .

بعد قليل

لبت الدكتوراه رغبتة ، و لم تمنع من إتمام الجلسة في الحديقة ، جلسا سويا على أحد الطاولات وقالت مبتدئة للحديث :-

- كيف حالك وحال ظلك؟ هل أنتما بخير؟

فقال لها منزعجا :-

- كفي عن هذا ؟ أنا لم أطلق على نفسي هذا اللقب بل هي .

- وأنت أثبتته على نفسك .

- كان هذا منذ زمن بعيد ، والآن هي تعرفني جيدا.

- هذا بالنسبة لك ، ولكن الظل اقتطع جزءا كبيرا من حبها و عقلها وتفكيرها ، أنت تخلصت منه ولكنه مازال بداخلها.
تنهد تنهيدة عميقة ثم قال:-

- سأعوضها عن كل هذا ، سأداوي كل جروحها ، أي جرح كنت أنا السبب فيه أو غيري.

ردت عليه الدكتورة بقلق وهي تفرك يديها ببعضها :-

- ستعوضها ! ، أقررت أن تكمل حياتك معها؟ هذه مخاطرة ، بعد أن يمر على زواجكما بعض الوقت ستشعر بالفارق الكبير بينك وبين جيروشا وسيصعب عليك سد الفجوة الكبيرة بينكما .

تنهد بارتياح ثم قال :-

- جيروشا هي من أحببتي بصدق ، كلما نظرت إلى عينيها أشعر بألقة ، أشعر أنها نظرة أمي لي قبل أن تموت وأنا في الخامسة من عمري .

رجع للخلف بظهره وقال :-

- عندما كنت أنفق على الأيتام كانت عائلتي تتهمني بالسفه ، لم يدركوا أنني كنت أشعر بهم وأشعر بفقدانهم لأمهاتهم ، كنت أحاول أن أعوضهم بقدر استطاعتي .

سكت قليلا وضم شفثيه بامتعاظ ثم أكمل :-

- وعندما أخبرتهم أنني سأرتبط بجيروشا ، اجتمعوا و قرروا حرمانني من أموالي و لكنني توعدت لهم أنني سأقاضيهم ، وها هم.. أرسلوني إلى مشفى للطب النفسي لإثبات جنوني و يكون لهم حق قانوني في حرمانني من حقي ، ولكن الجميل في هذا الأمر أنني عندما أخبرت جيروشا بما حدث لم تنزعج ورتبت لحياتنا الفقيرة بكل تدبير .

نظر للدكتورة بعينان لامعتين وابتسم وقال:-

- إنها الفتاة الوحيدة التي أحببتي لشخصي ، أحببت جيرفيس، وهي أيضا الوحيدة التي شعر جيرفيس بين يديها بالأمان بعد موت أمه .

أخذ نفسا عميقا ارتفع به صدره للأعلى وقال :-

- إنني أشم ريحها ، يبدو أنها تشعر بي .

نظرت الدكتورة إلى ساعة يدها وبعدها جاء الممرض واقترب من أذنها وأخبرها بشيء ما ، لم يهتم له جيرفيس وأخذ يتجول ببصره في أرجاء الحديقة مبتسما وفجأة نهض من مكانه مفزوعا وقال

- جيروشا ! من أخبرك أنني هنا !؟

نهضت الدكتورة بهدوء بالغ ترسم على شفثيها ابتسامة خبيثة وأقبلت على جودي قائلة :-

- كيف حالك يا صديقتي ؟ وتبادلا القبلات الترحيبية وجيرفيس ينظر إليهما بعينين متسعيتين وبذهول بالغ ويخشى أن يكون ما يدور برأسه هو الحقيقة فقال :-

- أتعرفان بعضكما؟!!

قالت جودي مشفقة :-

- نعم ، هذه دكتورة مها ديلاور تعرفت عليها وأنا في الجامعة ، وتعرف كل شيء بيننا .
فأكملت الدكتورة :-

- و هي من أتت بك إلى هنا .

فنظر باستنكار و قال:-

- ولكنك قلت أن أهلي هم من أتوا بي !

فردت الدكتورة :-

- وهل لك أهل غيرها يا جيرفيس ؟

قال لها بانفعال :-

- الآن تدعوني جيرفيس ! أما كنت منذ قليل .. ظل ؟

ردت بهدوء :-

- هذا صحيح والآن تخلصت منه وأصبحت جيرفيس،

أتنكر ؟

اقتربت منه جودي وهي تنظر له بشفقة فقال لها :-

- لماذا يا جودي؟! أتفتتي مع أهلي علي؟!!

قالت جودي بانكسار :-

- لا تظلمني يا جيرفي.

فقالت الدكتورة :-

- لا تقلق ليس لك وجود في المشفى فمن استقبلته هو السيد جون سميث وليس أنت، ليس لك أي ملفات عندنا .

فقالت جودي بشفقة :-

- كان لا بد أن يحدث كل هذا قبل أن أخبرك أنني

بترت كلامها وطأطأت رأسها ، فقال جيرفيس بانفعال :-

- تخبريني بماذا ؟ تكلمي .

قالت جودي بصوت مرتعش :-

- أخبرك أن الفتاة اللقيطة ربيبة ملجأ الأيتام تحمل بين أحشائها سليل عائلة بندلتون الذي سيحمل اسمك يا جيرفي .

وضعت يدها على بطنها و انهمرت دموعها وأكملت:-

- كان لا بد أن أعرف، هل ستتقبله و تعترف به أم سيقبل على حياة قاسية يتيما تعيسا مثل أمه .

نظر لها بشفقة وضمها إلى صدره ومسح على شعرها برفق وقال :-

كيف تخفين علي خير مثل هذا يا حبيبيتي جيروشا ، لو تعرفين مدى سعادتني الآن و لو تشعرين بتراقص قلبي بين ضلوعي لحظة سمعت منك هذا لما كنت أخفيته عني .

لفت جودي يديها حول خصره و ألصقت نفسها به بشدة وأصدرت صوتا طفوليا مصطنعا للبكاء ، فقال لها :-

- ما بك يا حبيبيتي ؟

فقلت :-

- ألم أخبرك أنني أمقت اسم جيروشا هذا ؟

أبعدها عنه برفق ومسح على خدها وقال:-

- أعتذر يا حبيبيتي ، من اليوم لن تكوني إلا ما تحبين ، لن تكوني إلا جودي السيدة جودي بندلتون.

{النهاية}